لليمن ..لا لعلي عبدالله صالح

الافتراء الملَكي على المسيح

(34)

أوضحنا في الحلقة السابقة جانبا مختصرا من التشوه الذي أصاب المعتقدات الإسرائيلية بتأثير الدمج بين الملكية والدين، حيث كان ملوك بني إسرائيل يستخدمون الدين كغطاء لتبرير انغماسهم في ممارسة الظلم والاستبداد والفساد واكتناز الثروات، وما ترتب على ذلك من ضم وإلحاق ما أسموه (الشريعة الشفوية) إلى التوراة ، بواسطة كتب الأسفار وكتاب (التلمود) وصولا إلى تحريف التوراة نفسها بعد أن اختلطت بتلك الإضافات التي زعموا أنها (وحي ثان) أنزله الله إلى النبي موسى عليه السلام بعد التوراة، وما تضمنته تلك الإضافات من تعاليم ومعتقدات منافية لشريعة موسى، مارسها ملوك وأحبار بني إسرائيل باسم الحكم الإلهي، وهو ما يفسر غضب الله عليهم، بقوله في القرآن الكريم : (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) (النمل ـ 34).

أحمد الحبيشي

والثابت أن ما أصاب الديانة المسيحية من ضلال لا يمكن فصله عن تسلل التراث الإسرائيلي إلى هذه الديانة بعد صراع مرير خاضه عيسى المسيح عليه السلام مع ملوك واحبار بني إسرائيل، الذين قاوموا رسالته بمختلف أشكال الكيد والتآمر والقسوة، حيث لم يكن الانحراف عن شريعة النبي موسى عليه السلام في سلوك ملوك بني إسرائيل الظلمة فقط، بل امتد ليشمل أحبارهم ورهبانهم الذين ربطوا الغفران بدعائهم لمن يقدم لهم النذور والقرابين، ثم أنكروا الحساب والعقاب وانغمسوا في متاع الحياة الدنيا واكتناز الذهب والفضة، ما أدى إلى فساد العقيدة وفساد الأخلاق معا.

وكانت رسالة المسيح عليه السلام موجهة إلى بني إسرائيل الذين دعاهم إلى اتباع ناصية الحق، بعد أن أيده الله بمعجزات ذكرها الله في القرآن الكريم بقوله : ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (عمران 49)

بهذا المَعنَى تكون المعجزات التي أيد بها الله عيسى عليه السلام محددة في أربع على نحو ما ذكره القرآن الكريم الكريم، أما المعجزة الخامسة فهي المائدة التي طلبها الحواريون منه :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ × قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ × قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ × قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة 112 ـ 115).

والثابت أن كلمة (المسيح) وردت في التوراة، ولا يزال الأصوليون اليهود يؤمنون بحتمية ظهوره، كملك عظيم يحقق لهم السلطان على الأرض، ويجعل كلمتهم هي العليا وجيشهم هو الجيش الأعظم باعتبارهم شعب الله المختار، بيد أنهم لم يصدقوا بنبوءة المسيح بن مريم؛ لأنه جاء ليدعوهم إلى الأخلاق، ويوجههم وجهة روحية، ويحذرهم من اكتناز المال والذهب والفضة، ولذلك لم يروا فيه صفات المسيح المنتظر، وقاوموه وتآمروا على قتله، ولا يزال الأصوليون اليهود يؤمنون حتى الآن بظهور المسيح المنتظر الذي يحقق لهم السلطان المطلق على الأرض وكافة أجناس البشرية.

وقد تميزت التعاليم المسيحية في عهدها الأول قبل محاكمة وصلب المسيح أنها كانت تهتم بالوعظ والتسامح . ولعل أهم ما ترويه الكتب الدينية عن اهتمام المسيح بن مريم بالوعظ قوله: (طوبى للمسكونين بالروح فإن لهم ملكوت السموات ، وطوبى للمزارعين فإنهم يرثون الأرض وطوبى للجياع والعطاشى إلى البر، فإنهم يشبعون، وطوبى لأتقياء القلوب فإنهم قريبون إلى الله) إنجيل متى الإصحاح الخامس والسادس والسابع.

وبالإضافة إلى الوعظ دعا المسيح إلى التمسك بشريعة موسى وأكد على وجوب حفظ الوصايا القديمة التي أنزلها الله على موسى في الجبل بقوله : (إن كنت تريد أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا المتعلقة بالله وهي : الرب إلهك، فلا تكن لك آلهة أخرى، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، وأحفظ كل الوصايا المتعلقة بالبشر وهي لا تسرق، لا تزن، لا تقتل، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، لا تشته زوجة قريبك).(انجيل متى 52ـ54).

ولئن كان ثمة تشابه بين الناموس المسيحي والناموس اليهودي باعتبارهما صادرين عن الله، فإن عددا من الكتاب والباحثين في التاريخ المسيحي يرون أن ثمة تمايزا بين الناموسين على قدر كبير من التسامح الذي تميزت به دعوة المسيح بن مريم في حياته، لكنه لا يصل إلى درجة التناقض، فقد نهت شريعة موسى عن القتل، أما المسيح فقد ذهب إلى أبعد من ذلك فنهى عن التفكير في الإساءة إلى الغير، كما نهى المسيح عن البغضاء والكراهية واحتقار الآخرين بقوله : (قيل للأولين لا تقتل، فإن من قتل يستوجب الدينونة. أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة)(إنجيل متى 5 – 21).

في السياق ذاته نهت شريعة موسى عن الزنا، أما المسيح فقد نهى عن كل فكرة أو شهوة مدنسة تداعب الحس والخيال بقوله: (إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه) (متى 5 – 27).

أما فيما يتعلق بالزواج والطلاق اللذين أباحتهما شريعة موسى، فقد ألغى المسيح الطلاق بحجة أن موسى ما سمح به إلا لقساوة قلوب قومه، بينما سمح المسيح بالهجر المشروط بألا يعقبه زواج جديد، فيما نهت شريعة موسى عن الحنث بالعهود والحلف بالله، أما المسيح فقد نهى عن الحلف بالله على الإطلاق أيا كان نوعه بقوله: (لا تحلف البتة بالسماء فإنها عرش الله، ولا تحلف برأسك،لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة منها بيضاء أو سوداء، ولكن ليكن كلامكم نعم ولا، وما زاد على ذلك فهو الشر) (متى 33 – 37).

وقد نصت شريعة موسى على محبة الأحباء وبغض الأعداء، أما المسيح فقال بمحبة الأحباء والأعداء بقوله : (أقول لكم أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم، لأن شمس الله تطلع على الصالحين والأشرار ومطره ينزل على الأبرار والظالمين) (متى 43 – 44).

والثابت أن التاريخ المسيحي بكل ما انطوى عليه من حروب واضطهاد وقسوة يتعارض تماما مع هذه التعاليم التي أوردناها بإيجاز شديد لضيق الحيز، ولا يمكن فهم هذا التحول من التسامح والمحبة إلى القسوة والاضطهاد بدون التعرف على جذوره التاريخية في التلمود، حيث كان الأباطرة الوثنيون قبل ظهور المسيح يقومون بحماية السكان من جيش بني إسرائيل، ولذلك فقد كان الأباطرة لا يعرفون من أمر الدين الجديد سوى أنه امتداد لليهودية.

مما له دلالة أن التشوه الذي أصاب العقيدة اليهودية لم يتمحور فقط حول الروايات الشفوية التي قام الأحبار والحاخامات بتدوينها بعد أن اخترعوها ونسبوها إلى النبي موسى عليه السلام، بل إنها تجاوزت ذلك إلى تضمين العقيدة أساطير وخرافات تركت آثارها السلبية على الاختلافات المذهبية اليهودية من جهة، وعلى العلاقة بين اليهود وغير اليهود من جهة أخرى.

وبالنظر إلى أن رسالة المسيح ظهرت وتوجهت إلى بني إسرائيل بعد أن اشتد انحرافهم عن التعاليم الصحيحة لشريعة موسى عليه السلام، فقد تعرضت المسيحية لمقاومة شرسة من داخل البيئة الإسرائيلية التي تحركت فيها وتوجهت اليها . ولعل أخطر أشكال هذه المقاومة هو تسلل الإسرائيليات إلى العقيدة المسيحية نفسها، خصوصا بعد أن اعتنق ملوك أوروبا الديانة المسيحية وطوعوها لمصالحهم بالتعاون مع رجال الدين المسيحيين.

وبوسع من يطالع الكتب المقدسة عند المسيحيين ملاحظة العلاقة البنيوية بين الأساطير والخرافات والروايات التي نسبها الحواريون والرسل والرهبان إلى المسيح عليه السلام، وبين المعجزات الخمس التي أيد بها الله عيسى بن مريم عليه السلام لنشر رسالته في أوساط بني إسرائيل .. فقد أفرطت الأناجيل في إيراد طائفة كبيرة من الموتى ، وزعمت بأن المسيح أحياهم بعد الموت، وطائفة أخرى من المرضى الذين شفاهم من المرض أو جعلهم يبصرون . كما تذكر الأناجيل أحاديث وروايات عن العشرات والمئات من المجانين والمصروعين والعميان والموتى والمشلولين الذين زعمت ايضا أن السيد المسيح عليه السلام شفاهم تماما من أمراضهم، بل إن إنجيل متى يذكر أن (جموعا كثيرة جاءت ليسوع وفيهم الأعرج والأعمى والأخرس والمشلول فقبلوا قدمي يسوع فشفاهم).

وعلى النقيض من ذلك يرى كثير من الباحثين أن المعجزات التي أيد بها الله عيسى بن مريم حدثت مرة واحدة وبهدف واحد هو إثبات صدق نبوءته، بمعنى أن عيسى كان قويا بمشيئة الله الذي قرر أن يمنح رسوله ونبيه عيسى بن مريم البرهان لإثبات النبوة أمام الذين أنكروا رسالته ، بيد أن ما ترويه الأناجيل يجعل العلاقة بين الله والمسيح تنافرية، أي أن الله يميت، ثم يأتي عيسى لينقض مشيئة الله ويقوم بإحياء من أماتهم الله، ثم يقضي الله بالعمى فيقوم عيسى بإعادة البصر إلى العميان وهكذا.

كما يرى باحثون في علم الأديان أن أكثر معجزات الرسل والأنبياء تأتي متوافقة مع البيئة الفكرية والثقافية في عصر كل منهم، فالسحر كان معجزة موسى والبلاغة كانت من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لانتشار السحر في عهد موسى وانتشار البلاغة في عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام، بيد أن الأساطير التي دخلت على المسيحية توحي بأن الطب كان منتشرا بين بني إسرائيل في عهد عيسى ، مع أن التاريخ يدل على عكس ذلك .. فقد كانت معرفة بني إسرائيل بعلم الطب قليلة في عهد المسيح وقبله. وليس ادل على ذلك من انتشار الأوبئة والأمراض بينهم ، والتي كانت من أهم أسباب إخراجهم من مصر. أما معجزات عيسى فإنها تتفق مع طبيعة مولده، حيث أن معجزاته تعلي من شأن الجوانب الروحية وتقيم الدليل على وجود الروح التي اشتهر بني إسرائيل بإنكارها، وهو ما يفسر قيام عيسى وبتأييد من الله سبحانه وتعالى بخلق شكل الطير من طين لا حراك فيه، ثم نفخ فيه فكان طيرا.

ومما له دلالة أن الأب الياس ادعى في كتابه (يسوع المسيح) أن (من مميزات المسيح التي لا يفاضله فيها نبي ولا رسول أنه أفضى بالقدرة على إتيان المعجزات إلى تلاميذه، ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده إلى السماء، وأورث الكنيسة تلك القدرة أيضا وجعل من رجال الدين القديسين ورثة لرسالته وتعاليم كل الرسل والانبياء من قبله).

وعند هذه النقطة يمكن فهم أبعاد الافتراء على المسيح وانعكاساته على مسار التاريخ المسيحي، خصوصا بعد اختفاء إنجيل عيسى على نحو يشابه اختفاء التوراة من التابوت الذي وضعه موسى فيه . حيث يقول سفر الملوك ان سليمان لم يجد التوراة عندما فتح التابوت بعد ان وضعه في الهيكل، ولم يجد فيه سوى اللوحين الحجريين اللذين وضعهما فيه النبي موسى إلى جانب التوراة، وقد ترتب على اختفاء إنجيل عيسى قيام بعض الحواريين بتدوين أناجيل مختلفة عرفت بأسمائهم ، مثلما ترتب على اختفاء التوراة تدوين الأسفار الملحقة بها وصولا الى تدوين (التلمود) والزعم بأنه السنة النبوية لموسى عليه السلام ، بيد أن التطور الأبرز في التاريخ المسيحي حدث بعد أن اعتنق الملك قسطنطين المسيحية واعتنقها معه بولس، وهو كاهن للملك قسطنطين عندما كان وثنيا قبل اعتناق المسيحية. وتعود إلى الملك قسطنطين والكاهن بولس عقيدة التثليث وعقيدة ألوهية المسيح ونقل عقيدة تجسيم صفات الله عن اليهودية، ما أدى إلى بداية تاريخ طويل من الاضطهاد والقتل والقسوة بين المسيحيين بعضهم البعض، وبينهم وغيرهم.

ومن نافل القول ان الكتب التاريخية المسيحية وغير المسيحية أجمعت على أن التحول في هذه العقيدة حدث على يد بولس والملك قسطنطين اللذين كانا معروفين بمحاربتهما للمسيحية عند ظهورها ، واضطهاد وملاحقة وقتل المؤمنين الأوائل برسالتها، وعندما اعتنق بولس المسيحية بالتزامن مع انتقال الملك قسطنطين من الوثنية إلى المسيحية نقل بولس إلى العقيدة المسيحية كثيرا من الأفكار الوثنية واليهودية، حيث زعم بولس (أن عيسى لم يكن المسيح الموعود، فحسب بل إنه ابن الله، نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطايا البشر، فموته كان تضحية مثل موت الآلهة القديمة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية) A short History Of the world 170 – 179. وقد أدخل بولس على الديانة المسيحية بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة منهم، كما أدخل بعض فلسفة الإغريق لجذب الأتباع من اليونان ، حيث استعار من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الاله بالارض عن طريق الكلمة ، او عن طريق ابن الاله او عن طريق الروح القدس ، وهي فكرة وثنية اغريقية قديمة تمحورت حول الدور المركزي لرجال الدين القديسين في الوساطة بين الاله والملوك والمحكومين .

ويرى القرآن الكريم أن المسيح نزل رسولاً إلى بني إسرائيل بعد أن تمادى ملوكهم وأحبارهم في التحريف والضلال والاستبداد والفساد (قال المسيح يا بني إسرائيل إن الله ربي وربكم) (المائدة الآية 72)، بل إن الأناجيل نفسها تؤكد ما ذهب إليه القرآن الكريم، فقد جاء في إنجيل متى بالحرف الواحد : (وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة أرحمني يا سيد يا ابن داوود، ابنتي مجنونة جدا، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : أصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب يسوع : لم يرسلني الله إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة) (متى 15 / 21 – 42).كما جاء في إنجيل برنابا قول عيسى (وقد أقامني الله نبيا على بني إسرائيل لأجل صحة الضعفاء).

ويؤيد الكثير من الكتاب المسيحيين هذا الاتجاه، حيث يرى المؤرخ الشهير أنطوان بري أن اضطهاد الرومان لأتباع المسيح كان سببه الأساس هو اعتقاد الأباطرة الرومان بأن دعوة عيسى المسيح عليه السلام هي امتداد لليهودية التي كانت شديدة التعصب والعدوانية والعنصرية بعد تحريفها من قبل ملوك وأحبار بني إسرائيل عقب اختراع الروايات الشفوية المنسوبة إلى النبي موسى عليه السلام وتدوينها في (التلمود) A History of Freedom of Thought.))

والحال أن رسائل بولس شكلت جوهر العقيدة المسيحية بعد رحيل المسيح وحوارييه ورسله ، مع العلم أنه لم يعرف ولم ير المسيح إطلاقا، ولم يعاصر حوارييه وأتباعه الأوائل. وبوسع كل من يقرأ رسائل بولس وسيرة الإمبراطور قسطنطين الذي أعتنق المسيحية في وقت متزامن مع بولس ملاحظة أنه بقدر ما حرص بولس وقسطنطين على تضمين المسيحية أفكارا وتعاليم وثنية ويهودية وإغريقية تزيل الهوة بين ديانات بني إسرائيل وأفكار الأمم الأخرى، بقدر ما تم ذلك بالترابط الوثيق مع التوجه للغزو والفتوحات الدينية من قبل الملك قسطنطين والأباطرة اللاحقين، وهو الأمر الذي نقل المسيحية على يد بولس والملك قسطنطين إلى مرحلة تاريخية جديدة سالت فيها الدماء بين المسيحيين أنفسهم، وبينهم وغيرهم من الشعوب الأخرى.

ومما له دلالة عميقة أن يرتبط التشوه الذي أصاب المسيحية بعقائد التثليث والألوهية والربوبية والتجسيم التي تجعل الله والمسيح والروح القدس عنوانا للاتحاد المقدس بين الله والملك ورجال الدين الذين يرثون الرسل والأنبياء بحسب انجيل لوقا الذي تم تدوينه في عهد بولس وتحت وصايته .. لكن أخطر ما دخل على العقيدة المسيحية من انحرافات كانت تلك التي افترى فيها بولس على المسيح بن مريم بقوله في إحدى رسائله إن يسوع المسيح قال : (أيها الناس أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم)، ثم يقول في رسالة أخرى (جميع الناس الذين هم تحت نير ملوكهم وسادتهم فليحسبوا الملوك والسادة مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعاليمه بالفتن الدائمات)، ثم يكتب إلى تلميذه تبطس (ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا) (تاريخ المسيحية – مقارنة الأديان) د . أحمد شلبي – الطبعة العاشرة 1998م.

وبسبب هذه الروايات التي نسبها بولس إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، انقسم المسيحيون إلى مذاهب وضعية متناحرة، وتميز تاريخ المسيحية الجديدة على أيدي بولس والملك قسطنطين والأباطرة اللاحقين بالقسوة والاضطهاد والحروب والظلم والقمع على نحو ما سنأتي إليه في الحلقة القادمة.

عن / صحيفة (26 سبتمبر)

اليمن وزواج الصغيرات ؟؟

تدور هذه الأيام في اليمن معارك كلامية وصحفية بين فريقين: الأول يرى في زواج الصغيرات نوعاً من التشبث بواقع الجهل والأمية والبعد عن واقع الحياة المدنية ومتطلباتها وإغراق المجتمع بوحدات اجتماعية غير مؤهلة نفسيا واجتماعيا وعلميا لإدارة دفة الحياة وما ينتج عن هذا الزواج من جيل ضعيف مهزوز البنية ، أما الفريق الثاني فيرى أن زواج الصغيرات هو باب للعفاف وسد منيع أمام السيل الهادر من القنوات الفضائية غير الملتزمة ومواقع الانترنت التي تفسد الذوق والأخلاق كما أن هذا الزواج هو الوسيلة الوحيدة لحماية جيل المستقبل لكن هذا الفريق لم يتطرق إلى من سيتزوج الصغيرة وكم سيكون عمره بل اكتفى بالقول: أجمع كل من نحفظ عنهم من أهل العلم " أن إنكاح الأب إبنته الصغيرة جائز إذا زوجها من كفء".

هذه المعارك أثارتها مناقشات مجلس النواب لمشروع قانون يحدد سن الزواج في اليمن بثمانية عشر عاما بعد أن أصبح المجتمع يعيش حالة من الفوضى والنمو السكاني الهائل وما يسببه من أزمات اقتصادية وصحية واجتماعية بالنظر إلى الموارد المحدودة للبلاد واتساع رقعة الأمية والجهل وضعف بل انعدام الخدمات الصحية وارتفاع عدد الوفيات بين حديثي الولادة والأطفال ، وظهور ما عرف بالزواج السياحي الذي كانت ضحاياه من الصغيرات في الغالب حسب إحصاءات وزارة العدل . إلا أن الفريق المعارض لصدور مثل هذا القانون رأى فيه تقليدا للغرب كما أن التوقيع على اتفاقياته ومنها اتفاقية (سيداو) مثلا يصوغها اليهود ويريدون من خلالها إفساد عقيدة المسلمين وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا عن طريق رفع سن الزواج وتحديد النسل الأمر الذي يهدد الأمة الإسلامية ويقلص تأثيرها العددي وللشيخ القرضاوي رأي في هذه النقطة بالذات حيث قال يحتج البعض بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مكاثر بكم الأمم " لكنه صلى الله عليه وسلم لن يباهي الأمم بالجهلة ولا بالظالمين وإنما بالطيبين العاملين النافعين .

د.محمد لطف الحميري

بيان علماء اليمن الذي أدان موضوع تحديد سن الزواج وأباح زواج الصغيرات وحمل على المؤيدين لإصدار القانون ورد فيه نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تبيح تزويج الصغيرة من ست سنوات فما فوق والشرط الأساسي هو أهليتها للنكاح وما عدا ذلك فليس مهما ، وقد لفت نظري هذا الدفاع المستميت عن هذه القضية لكني عندما تفحصت أسماء الموقعين وجدت أن من بينهم من ليس له علاقة بمسمى عالم بل أغلبهم من المطلعين على نتاج الفقهاء والمحدثين والمؤرخين وحفاظ المتون وهؤلاء مع التقدير الكبير لاهتماماتهم لا يمكن أن نطلق عليهم علماء تماما كما لايمكننا أن نسمي من يحفظ الشعر ويلقيه بأنه شاعر .. لكن عدد الموقعين على البيان أحالني إلى موضوع آخر وهو كيف لو أن هذه الكوكبة من " العلماء " وجهت اهتمامها إلى القضايا التي يرزح تحت وطأتها اليمنيون ومنها الاستبداد والحروب والفساد المالي والإداري .. كيف لو خلقت رأيا عاما وقادت المسيرات باعتبار أن العلماء ملح البلد .. وهذا باعتقادي نوع من فقه الأولويات الذي يقول عنه الدكتور يوسف القرضاوي : هناك من يقول أكثروا من الأذكار والتسابيح والأوراد ولم يول هذا الاهتمام لكثير من الفرائض والواجبات وخصوصا الاجتماعية مثل بر الوالدين وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الظلم الاجتماعي وحماية حقوق الضعفاء والدعوة إلى العدل.

الهبة التي يقودها الموقعون على بيان علماء اليمن هي من المفارقات الكبيرة ففي الوقت الذي نجد فيه سكان قرى يشردون ومظاهرات وحروباً وواقعاً اجتماعياً واقتصادياً مزرياً وارتفاعاً جنونياً في المهور فإننا لم نسمع عن تجمع للعلماء لنصح الحاكم والتصدي لكل هذه القضايا الخطيرة التي تهدد النسيج الاجتماعي ووحدة البلاد .. لكن موقفهم هذا ربما يتسق مع ما صح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي نعيم قال : جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس فسأل عن دم البعوض ! وفي رواية عن " فسأل عن المحرم يقتل الذباب " فقال له ممن أنت ؟ فقال من أهل العراق ، قال : ها ، انظروا إلى هذا ؟ يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لكن الاستشهاد بهذا الحديث لا يعني التقليل من أهمية الموضوع الذي يجري النقاش بشأنه بل لأحيل الجميع إلى أولويات القضايا التي يجب أن ينصب الاهتمام عليها أما مسألة تزويج الصغيرات فيكفي أن نعلم أن من المرامي الحضارية لهذا الرباط المقدس إقامة أسرة تشكل لبنة قوية في بناء المجتمع فهل يمكن لطفلة لم تبلغ سن الرشد أن تتحمل تبعات الحياة التي لم يقدر على حملها رجال أو ذكور في مجتمعات تتفوق على واقع المجتمع اليمني صحيا واقتصاديا . ثم لماذا يغفل في مثل هذه المعارك الرجوع إلى أولي العلم من الأطباء وعلماء النفس وعلماء الاجتماع .. أتمنى على أعضاء مجلس النواب وعلماء اليمن الأجلاء أن يتجهوا إلى ساحات وأروقة المحاكم ليقفوا على حقائق مرة بسبب عدم أهلية طرف من أطراف الزواج لفتح بيت وتكوين أسرة وكيف أن المرأة ماتزال متاعا يمكن للرجل أن يتخلى عنه متى شاء ولو برسالة من بلدان المهجر أو بمكالمة هاتفية بأنه قد أنهى علاقته مع امرأة أفنت عمرها في انتظاره !! ليتهم يجرون مسحا اجتماعيا ليقفوا على أعداد النساء اللاتي أصبح الشارع مأواهن الوحيد مع أطفالهن .. نحن في واقع جديد يختلف عن أسلافنا ويحتاج إلى رؤية واجتهاد ولا بأس أن نستأنس ببلدان سبقتنا في هذا المجال .. أما المؤامرة الغربية على مجتمع يتقزم كل يوم فتلك قضية أخرى ...